

العلاقات الاجتماعية في زمن كورونا وما بعده عنوانها الحذر وغربة الأصدقاء

قضت جائحة كورونا على الحياة الاجتماعية في لبنان وكل دول العالم، بعد تعرضها لضربة مفاجئة غير مهيأة لكيفية مواجهتها، سوى التعامل مع الضرورات الواجب اتخاذها لحماية الانسان نفسه من وباء غير معروف مصدره حتى الان. مع هذا الواقع المستجد اصبح للناس عادات مغايرة لما كان سائدا، فهل نحن امام نظام اجتماعي جديد؟



مدير كلية العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية - الفرع الثاني الدكتور طوني جرجس.

العادات الاجتماعية هي استمرارية كما يقول علم الاجتماع. فإذا تعرضت لضربة من واقع معين ستتبدل ويتغير جوهرها. ما يعني اتجاهنا نحو هذا التبدل في التقاليد والعادات الاجتماعية في لبنان التي تغيرت اساسا بأسلوبها في السنوات الاخيرة ما قبل تحكم وباء كورونا في مفاصل حياة الناس.

اعادة النظر في المسائل الاساسية في حياة اللبنانيين هي ابرز عنوان لهذه المرحلة، الى حد الوصول الى غربة الاصدقاء انطلاقا من معيار واحد من سأل عنا لتفقد احوالنا في عزلتنا الاجتماعية؟

الاختصاصيون في علم الاجتماع يتوقفون عند تجارب سابقة عاشتها الشعوب مشابهة تقريبا لواقع فرضته جائحة كورونا على كل شعوب الارض، حيث يتوقعون عودة الحياة ما بعد القضاء على الوباء كليا، وبعطش كبير من الناس لاستعادة علاقاتهم الاجتماعية كرد فعل مشابهة لرد فعل سجين تلقى نبأ اطلاقه.

في لقاء مع "الامن العام" تحدث مدير كلية العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية - الفرع الثاني - الدكتور طوني جرجس عن هذا الواقع الذي اصاب الحياة الاجتماعية في لبنان في الصميم، والى اين نحن متجهون مستقبلا بسلوكنا الاجتماعي، وهل سيبقى الحذر ملازما للناس كعنوان ملاصق لحياتهم ما بعد كورونا؟

نحن متجهون نحو التشبه بالمجتمعات الغربية حيث الفردية هي الطاغية

بأكمله فغيرت، وفق الدراسات، مجرى حياة ثلاثة ارباع سكان العالم من ناحية تبدل نوعية العلاقات الاجتماعية بجوهرها، بعد خسارة امور اساسية فيها، كالحياة التعليمية الجامعية، الاندماج بين الطلاب، خسارة المراكز الرياضية والدينية كجزء من حياة عدد كبير من الناس، السفر والتنقل بحرية، التواجد في اماكن العمل كأمر له انعكاسه الايجابي على الفرد في مجال

فالتقاليد التي كان يحرس عليها اللبنانيون قبل 20 عاما او 25 عاما لم تعد هي ذاتها من ناحية الاسلوب، خصوصا في القرى، لتتحول المعابدات من مباشرة بالانتقال من بيت الى آخر الى رسائل عبر الواتساب والى اقرب المقربين فقط. ما بعد انتشار وباء كورونا لم تعد الحفلات الاجتماعية التي تقام في الاعراس ضخمة كالسابق، بل باتت محدودة نوعا ما على الرغم من عدم انضباط الامور فيها حيث تتسع الدعوات احيانا لانها مناسبات فرح والناس لديها حب المشاركة فيها، علما ان البعض استفاد من جائحة كورونا للاحتفال بزواجه من دون تكليف مادية باهظة. الحرص على التمسك بهذه العادات تقلص في المناسبات الحزينة. فالناس ما قبل كورونا كانوا يشاركون في المآتم كواجب، لا للتفاعل مع الاخرين في حزنهم باعتبار ذلك من التقاليد الاجتماعية ليكون الامر بالنسبة الى عدد كبير منهم نوعا من القيود المفروضة عليهم ولا مجال للتهرب منها.

■ هل ما نعيشه في هذه المرحلة هو تمهيد لعادات اجتماعية جديدة في لبنان؟
□ نقول في علم الاجتماع، عندما تتعرض العادات لضربة من واقع معين ستتبدل. ما اراه في هذا المجال مستقبلا هو التشبه بالمجتمعات الغربية من خلال اعتماد التقاليد المتبعة لديها تحديدا في المناسبات الحزينة، حيث تقتصر المشاركة فيها على الدائرة الضيقة جدا لاصحاب العلاقة، حتى مناسبات الافراح سيشملها التغيير ايضا. ما بعد انتشار وباء كورونا لم نعد كلبانيين مجتمعنا موحدا، اصبحنا فرديين. ففي ظل جائحة كورونا لا قدرة للمجموعات الكبيرة على التعايش بسبب الخوف والشك من الاخر. علما ان ما حصل في فترة الاعياد في مطلع هذه السنة اعتبر ظاهرة اجتماعية لم يشهدها اي بلد آخر في العالم. فعلى الرغم من كل التحذيرات عمت السهرات النوادي الليلية والمطاعم باصرار من اللبنانيين يفسر بنوعين، بوعي لدى البعض وبلا وعي لدى البعض الاخر. الحالة الاولى ترجمت باقبال على فحوص P.C.R للتأكد من الإصابة بكورونا ام عدمها ما بعد الاحتفال بسهرة رأس السنة، فكان هذا التحدي الاجتماعي ظاهرة في ذاتها قياسا بمجتمعات اخرى. الاغرب في كل

المقال

نعمة إفتقدناها

مع كل خسارة تواجهنا نسال انفسنا ماذا تبقى لنا؟ فلنتمسك بالباقي من اجل ان نستمر. انها لعبة الحياة.

الخسارات التي حلت باللبنانيين على مدى عامين وبشكل متواصل لا تعد ولا تحصى على كل الصعد، وعلى الرغم من قساوة ما حدث معهم لم تتمكن جهة مسؤولة واحدة من إيقاف التدرج نحو الهاوية.

اللبنانيون قابعون في منازلهم المغلقة ابوابها. لا في وجه وباء كورونا فقط، بل الهم في وجه اقرب المقربين اليهم. اذا نظرنا الى هذا المشهد من الخارج الذي عم كل لبنان في الشهر الماضي نشعر بشيء ما يقول لنا انهم ينتظرون، ينتظرون املا ما يطل عليهم على غفلة كما حلت بهم المآسي على غفلة منهم ايضا.

اذا سعينا الى تفكيك تفاصيل كل تجربة قاسية يمر فيها الانسان في مراحل عدة في حياته، نجد في الامر مردودا ايجابيا، او رسالة خفية لم يتنبه اليها هذا الشخص ما قبل وقوعه في التجربة، او ربما فرصة قدمتها له الحياة بشكل غير مباشر لاعادة النظر في حياته، باعادة ترتيب اهدافه، اولوياته، الضرورات، المحاذير التي عليه ان يتجنبها او يتحاشاها، ماذا يلغي من حياته ومن بالتحديد. انه زمن المحاسبة، بوضع الناس في الغرابة لئلا من سيبقى منهم وذلك بعودة سريعة الى ايام العزلة الاجتماعية وما انطبع في نفوس اللبنانيين خلالها تحديدا، من هو الصديق الذي خرق عزلتهم بسؤال للاطمئنان عنهم وعن احوالهم؟ ومن سعى الى التخفيف من وطأة العزلة على نفوسهم؟ هذا هو المقياس الذي سيحدد من سيبقى ومن سيلغى من يومياتنا.

ما بعد عودة الناس الى حياتهم الطبيعية وان طال المدة، لن تكون اعادة النظر بشكل اساسي وعميق في مسائل حياتية، لان الحياة في هذه الفترة قد رتبت نفسها بنفسها بحسب الواقع الاقتصادي الذي حدد اطرها. اعادة النظر ستكون في علاقاتنا بالناس وبالمكانة التي سنقدمها لهم. لكن ويا للأسف، ما اكتشفناه من فقدان للمشاعر هو في نظرا اكبر خسارة حلت بالانسان، ما يعني خسارته هو بالذات.

اما ما نتحدث عنه في شأن العلاقات الاجتماعية التي يرتقب عودتها ما بعد القضاء نهائيا على وباء كورونا فلن تكون، ما بعد هذه المرحلة، سوى علاقات شخصية محدودة جدا، ربما للتعويض عما افتقدناه من مشاعر في عزلتنا. فهناك، كما نرى، بحث جديد عن الانسان فينا.

بهذه الخلاصة خرج عدد كبير من اللبنانيين من تجربة قاسية غدرت بهم فهزت صميم حياتهم. ربما اهم ما فيها توقف البعض منهم عند النصف الملآن من الكوب كفرصة للاستفادة من المتبقي لهم من اجل ان يستمروا. لكن على الرغم من اهمية ما ذكرناه، هناك الهم وهو الدرس الذي تعلمناه على مدى عامين لمعرفة قيمة الحياة التي كانت معطاة لنا بكل بساطة، بتفصيلها اليومية حتى الروتينية منها، كانت جميلة. نعمة افتقدناها.

دينيز مشنتاف

denise.mechantaf@gmail.com

فيروس كورونا

(كوفيد-19)

كيف تحمي نفسك والآخرين من العدوى

أمور يجب تجنبها



تجنب ملامسة العينين أو الأنف أو الفم.
وتجنب تناول الطعام غير المطهي جيداً.

تجنب التعامل المباشر دون وقاية مع حيوانات المزرعة أو الحيوانات البرية والأسطح التي تلامسها الحيوانات.



تجنب الاتصال المباشر للأشخاص الذين سافروا إلى أحد البلدان الموبوءة، أو الذين تظهر عليهم الأعراض التالية: حمى، سعال، وضيق التنفس.



تجنب تناول المنتجات الحيوانية غير المطهية، بما في ذلك اللحوم النيئة والبيض، تجنب شرب الحليب غير المغلي أو غير المبستر.



الاجتماعي السائد حالياً. علماً ان عددا كبيرا من الناس فقدوا مع جائحة كورونا علاقاتهم الاجتماعية التي كانت مبنية على قاعدة واحدة تتمثل باللقاءات المباشرة، غير المتوافرة حالياً، وبتنظيم السهرات ورحلات السفر مع تكوين مجموعات من الاشخاص للتسلية ومقضية الوقت. الهم من كل ذلك، خسارة الانسان صداقاته الشخصية التي كانت ملجأ ذاتياً له بحثاً عن الراحة النفسية. كل هذا العالم الذي كان محور الحياة سيعاد النظر فيه وبأولوياته وضروراته. ما بعد كورونا اكتشف الناس ان هناك علاقات لا لزوم لها، وعلى هذه الاساس ستتم اعادة ترتيب حياتهم مستقبلاً. طبعاً، هناك نظام اجتماعي جديد من دون ان يحدده او يرسمه احد ومن غير الممكن ان نرى معالمه الان، فالامر منوط بالقضاء نهائياً على وباء كورونا، متى، هل هذه السنة ام بعد سنتين، هنا الوضع سيختلف.

هل يجب على الشعوب ان تتحضر لكيفية مواجهة الازمات المصيرية التي تهدد حياتها على الارض؟
الضربة التي اصابت كل المجتمعات في العالم كانت مفاجئة لها. كبار علماء الاجتماع تحدثوا عن المجتمعات وانواعها، لكن ما افتقدت اليه دراساتهم على مدى اجيال هو كيفية دراسة مجتمعات تواجه ازمات مصيرية للوصول الى نتيجة او خلاصة ترشد الناس الى كيفية العيش في اندماج اجتماعي، رغم تحكم الازمات المصيرية في مسار حياتهم. اذا توقفنا عند تجارب مشابهة لما نعيشه اليوم، كانتشار الانفلونزا الاسبانية التي استمرت عامين مع اتخاذ سبل الوقاية التي نعتمدها حالياً، او تفشي مرض الطاعون، سنجد عودة الناس الى حياتهم الطبيعية بعد فترة معينة من القضاء نهائياً على الوباء. فمن طباع الانسان النسيان. ما اراه بعد زوال هذه الجائحة هو عودة اللبنانيين مباشرة الى الحياة مع عطش كبير من قبلهم لاستعادة علاقاتهم الاجتماعية، كرد فعل مشابه تماماً لرد فعل سجين بعد تلقيه نبأ اطلاقه. رد الفعل هذا يشبه فورة اجتماعية تعود الحياة بعدها الى طبيعتها السابقة.

هل هناك نظام اجتماعي جديد يرسم طريقه حالياً في ظل جائحة كورونا، وكيف ترى معالمة؟
علينا الفصل بين لبنان ودول اخرى. هناك اختلاف بين المجتمعات بتقاليدها والعادات المتبعة لدى شعوبها حتى ما بين الدول المجاورة لبعضها البعض كلبان والدول العربية مثلاً. على الرغم من هذا الاختلاف، يكشف واقعنا الحالي اتجاهنا نحو التشبه بالمجتمعات الغربية حيث الفردية فيه هي الطاغية، وسنجد انفسنا في عالم آخر من العادات والتقاليد تحمل معها الكثير من السلوك

الحذر هو عنوان هذه المرحلة ولا نعرف الى متى سيدوم؟

لخطر العدوى من اي وباء مستقبلاً؟ ما بعد كورونا سيتم انتقاء الصداقات والمسالمة مرتبطة بالسلوك الاجتماعي العام للفرد. فالطباع المتشابهة ستقبل بعضها البعض. من هذه الناحية ستتم الغربة.

هل سيبقى الحذر ملازماً للانسان في تعاطيه مع الغير ما بعد القضاء على وباء كورونا؟
الحذر هو عنوان هذه المرحلة وما بعدها ولا نعرف تحديداً الى متى. الامر مرتبط بالقضاء على هذا الوباء كلياً وبامكان حصول الناس على اللقاح. لو بقي مصاب واحد بكورونا، سيبقى الخوف والحذر الاجتماعي هو المتحكم في مفاصل حياة الناس وسلوكهم بشكل عام. علماً ان مسألة الحذر وضرورة اعتماده عكست صراعاً بين الاشخاص المصابين وغير المصابين. فالحذر الاجتماعي من المصاب بكورونا فيه الكثير من اللوم والمحاسبة على تعريض الشخص نفسه للخطر، وبالتالي تعريض الآخرين لهذا الخطر. فالعزلة الازمائية للمريض مثلاً من اجل التعافي، ستزيد من عزلته النفسية التي قد تؤثر عليه سلباً ما بعد التعافي، تحديداً الحذر منه.

هل هناك تواصل ومضمونه بين الاصدقاء في فترة الحجر المنزلي، بمعنى، العزلة ستحدد من هو الصديق انطلاقاً من معيار واحد، هل كان هذا الاخر من اقرب المقربين في عزلة الناس عن بعضهم البعض ومن كان الصديق بالنسبة اليهم. لكن ما بعد الخروج من العزلة المنزلية والعودة الى الحياة الطبيعية سيتحكم عامل اساسي في استمرارية علاقات الصداقة حتى المتينة منها. هذا العامل مرتبط بالسلوكيات التي سيعتمدها الفرد اجتماعياً. هل هناك تشابه بين طرفي العلاقة، بالحذر في التعاطي مثلاً والحرص على عدم تعريض الاخر

ما حدث خلال فترة الاعياد هذه السنة، هو احتفال اللبنانيين بأول ليلة للاغلاق العام الذي فرض مطلع العام الماضي في بدايات انتشار وباء كورونا. الحالة الثانية التي عكست اللاوعي لدى بعض الافراد في لبنان، تحديداً في فترة اعياد هذه السنة، عبّر عنها بتناسي الواقع وعدم الاكتراث بالجائحة وتأثيراتها الصحية التي قد تؤدي الى الموت. تعود اللامبالاة هذه الى وصول الناس الى خيارين فقط، اما الموت من الجوع او من الاصابة بكورونا فاختراروا مواصلة حياتهم العادية ما دامت النتيجة واحدة بالنسبة اليهم. علينا ان لا ننسى ما عانى منه اللبنانيون اقتصادياً ومعيشياً قبل عام من انتشار وباء كورونا، فبسببها لم يعد لديهم القدرة على مواجهة مفاعيل هذه الجائحة لانهم ما قبلها كانوا متعبين ومنهكين من واقعهم الاقتصادي الذي ازداد اهترأ ما بعدها.

اي مسائل اساسية في حياة اللبنانيين سيعاد النظر فيها مستقبلاً بعد معاناتهم على مدى عامين من واقع معيشي مأسوي تفاقم بعد العزلة الاجتماعية التي فرضها انتشار وباء كورونا؟
هناك تراتبية في العلاقات الاجتماعية، علاقات متينة وعادية وهامشية. الثانية والاخيرة سقطتا مع الواقع الجديد الذي فرض على الناس فوجدوا ان لا ضرورة لاستمراريتها. ما حصل منذ عام واكثر، خصوصاً بعد العزلة الاجتماعية، هو غربة كل العلاقات حتى التي تدخل في خانة الصداقات فهذه الغربة طاولتها ايضاً. وحدها الصداقات المتينة ستدوم وديمومتها مرتبطة بنوعية التواصل ومضمونه بين الاصدقاء في فترة الحجر المنزلي، بمعنى، العزلة ستحدد من هو الصديق انطلاقاً من معيار واحد، هل كان هذا الاخر من اقرب المقربين في عزلة الناس عن بعضهم البعض ومن كان الصديق بالنسبة اليهم. لكن ما بعد الخروج من العزلة المنزلية والعودة الى الحياة الطبيعية سيتحكم عامل اساسي في استمرارية علاقات الصداقة حتى المتينة منها. هذا العامل مرتبط بالسلوكيات التي سيعتمدها الفرد اجتماعياً. هل هناك تشابه بين طرفي العلاقة، بالحذر في التعاطي مثلاً والحرص على عدم تعريض الاخر